نصير الدين الطوسي وسقوط بغداد بيد المغول
عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) رؤية تاريخية تحليلية

الدكتور
ناجح جميل آل صافي
الكلية الإسلامية الجامعة – النجف الاشرف

نصير الدين الطوسي وسقوط بغداد بيد المغول عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) رؤية تاريخية تحليلية

الدكتور
ناجح جميل آل صافي
الكلية الإسلامية الجامعة – النجف الاشرف

مقدمة

في سنة ١٣٢هـ أعلنت الدولة العباسية في الكوفة وقد اعتبر العباسيون نجاح الثورة وظهور الدولة ((ميراثنا من نبينا)) وكانت أولى خطواتهم التخلص من النفوذ الفارسي، فأزاحوا أبا سلمة الخلاّل عن الوزارة، وقتلوه، كما قتلوا أبا مسلم الخراساني، الأمر الذي فسح المجال للنفوذ التركي الذي شجّعه وأيّده المعتصم خاصة بعد بناء سامراء، وإسقاط العرب من ديوان الجند.

لقد بدأ الوهنُ يستفحلُ في كيان الدولة وازداد بعد دخول البويهيين بغداد، حيث هيمنوا على كل شيء حتى شارات الخلافة، واستمرّ حكمهم من سنة ٣٣٤هـ إلى سنة ٤٤٧هـ، وكانت الدولة والأمة، كما يؤكد المقدسي تتجه نحو الضعف والركود الذي أخذ بالتصاعد مع مجيء السلاجقة ٤٤٧هـ - ٥٩٠هـ ودخول طغرلبك بغداد. ومع أن الخلافة العباسية حاولت بعد خروج السلاجقة النهوض، لكن المحاولة فشلت بعد أن شلّ الضعف والفساد مؤسسات الدولة، فاستقلّت بعض الدول في المشرق، كالدولة الطاهرية، والغزنوية، كما استقلت بعض الدول في المغرب، كالأدارسة، والفاطميين، لقد تفككت الدولة، وتصدّعت أسسها، وما عادت الخلافة قادرة على وحدتا وتماسكها، والذي أُريد أن أقوله : إنّ ضعف الدولة، ومن ثمّ سقوطها في السنين اللاحقة لم يكن بحاجة إلى أن يُحرِّض الطوسي المغول لغزو بلاده، وكان المغزول كما هو معروف غزواً للعالم بدأ بجنوب الصين في آسيا، وبلغاريا في أوربا، ولم يكن هؤلاء الغزاة بحاجةٍ إلى تحريض كي يواصلوا زحفهم وقهرهم للشعوب، وكانت سياستهم

تعتمد ابتداءً على بعض الإداريين من الدول المفتوحة لتدبير شؤون الحكم، ولم يكن الطوسي إلاّ واحداً من هؤلاء، استفادوا من خبراته، ونحن المؤرخين على يقين نعرض أثر الصراعات الطائفية والقيادات الحكومية على اختلاق الاشاعات، وتسقيط الخصوم سياسياً، وإنّ ما أُشيع عنه ثمرة من ثمرات العداء المستحكم بينه وبين الدويدار، ولو لم يُخلق الشيخ الطوسي لوضعوا هذه التهمة في غيره، وبرّأوا الخليفة الذي أهمل شؤون دولته، والذي أريد أن أقوله : إن سقوط بغداد كان مسألة حتمية أمام هذا الاجتياح لأن الدولة العباسية تداعت وتفككت قبل وصول المغول أسوار بغداد، ولم تكن هناك حاجةٌ إلى من يُحرّض المغول على اجتياح العالم، أو بغداد، وهذه طبيعتهم الغزو ثم الغزو وباستمرار وقد قاتلوا طويلاً مع بعضهم البعض حتى ظهر جنكيز خان، فوحّدهم بقتال الأمم المحيطة بهم، بدلاً من الاقتتال مع بعضهم البعض.

إشكالية تاريخية

يحدثنا المؤرخون التقليديون عن الدور الذي ناء به أبو عبد الله محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي المتوفى سنة(٦٧٢هـ/١٢٧٤م)، في سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، على يد المغول،إذ تشير إلى التنسيق الذي تمّ بينه وبين المغول، في احتلال قلاع الاسماعيلية[١]، ثم اتخذه هولاكو وزيرا له سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ذكر رشيد الدين فضل الله الهمداني، أن هولاكو استدعى نصير الدين الطوسي واستشاره، بقصد بغداد واستئصال أسرة العباسيين، فقال نصير الدين:((إنّ هولاكو خان سيحل محل الخليفة))[٢] حتى أن رشيد الدين الهمداني قال معلقا على تشجيع الطوسي لهولاكو على غزو بغداد بقوله:((فأضاء قلب الملك من قول العالم، كأنه زهرة العلل في الربيع الباكر))[٣].

اتهام الطوسي بالتعاون مع المغول:-

ذكر محمد بن شاكر الكتبي:((وكان يعمل الوزارة لهولاكو... واحتوى على عقله، حتى أنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمر به...))[٤]، وأشار ابن كثير

إلى كبار الأمراء والسلاطين والملوك والخواجة۞ نصير الدين:((أشاروا على هولاكو

أن لا يصالح الخليفة، وحسّنوا له قتل الخليفة))[٥]، ثم قال:((وانتخب هولاكو الطوسي ليكون في خدمته كالوزير المشير))[٦]، وحينما احتلت الكتائب المغولية بغداد من جهة"برج العجمي"[٧] المجاور لمقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني، ((كان من الناس من يزعم أن الطوسي هو الذي أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة))[٨]، وقال له: في رواية، ((إنّ الذي أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة، الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي))[٩].

أمّا ابن الطقطقي فيقول:((إنّ شفاعة نصير الدين الطوسي لابن العلقمي، كانت السبب في نجاته من هولاكو))[١٠]، وأفاد ابن الكازروني:((إنّ نصير الدين الطوسي كتب رسالة بالعربية إلى صاحب حلب بأمر من هولاكو وأودعها إلى رسل حلب، يتوعده فيها ويدعوه بالطاعة لهولاكو، فقال: فإنّ أتيت فروح وريحان، وإن أبيت فخزي وخسران))[١١] ، ويمضي ابن الكازروني إلى القول، أن الطوسي أنشد شعراً يؤرخ به احتلال هولاكو لبغداد بالفارسية قوله: ((في عام ستة وخمسين وستمائة، وفي يوم الأحد الرابع من شهر صفر، أنعدم ذكر الخليفة وجاء اسم هولاكو، ودالت دولة العباسيين))[١٢]

الثناء على شخصية الطوسي:-

وفي المقابل، هناك من المؤرخين، من يثني على شخصية نصير الدين الطوسي، فقد وصفوه بمولانا الأعظم السعيد، استاذ البشر، سلطان الحكماء وكان أكمل وأعقل عالم، وهو سلطان المحققين والعقل الحادي عشر[١٣].

لقد جمع نصير الدين الطوسي إلى العلم الواسع، العقل الكبير، فتريك سيرته، رجلاً، من أفذاذ الرجال لا يمر مثله كل يوم، صفاته، علم وعقل، وتدبير وبعد نظر))[١٤].

وأنشأ قاضي القضاة۞، نظام الدين الاصفهاني مادحاً نصير الدين الطوسي:

صفا شرب عيشي في هوى في مراغةٍ فظلت كما شاء المنى أتفرجُ

بها الرصد العالي النصيرى مقصدي إلى الفلك الأعلى به أتفرجُ[١٥]

وقال عنه بروكلمان: ((هو أشهر علماء القرن السابع وأشهر مؤلفيه إطلاقاً))[١٦]، ووصفه سارطون: ((انه من أعظم علماء الإسلام ومن أكبر رياضييهم))[١٧].

وقال قدرى حافظ طوقان: ((أحد الأفذاذ القليلين الذين ظهروا في القرن السابع الهجري واحد حكماء الإسلام المشار إليهم بالبنان وهو من الذين اشتهروا بلقب ـ علاّمة))[١٨] ، كما قيل عنه انه افضل اهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية، وهذا أستاذ البشر والعقل الحادي عشر"[١٩].

ويقول الدكتور مصطفى جواد: ((التحق نصير الدين الطوسي بهولاكو لينجي نفسه من الهلاك، وليأتي بمعجزة القرن السابع، وهي نشر العلوم في الشرق وتأسيس أول أكاديمية علمية فيه بالمعنى العلمي الحديث الذي تدل عليه كلمة "Academie" وإقامة أعظم مرصد عرف في الشرق وإنشاء أول جامعة حقيقية من النوع المعروف اليوم "Universite"))[٢٠].

ووصفه تلميذه الحلي شارح بعض كتبه فقال: ((...وكان هذا الشيخ أفضل أهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية))[٢١] ، وعبر عنه في مكان آخر بأنه: ((أستاذ البشر والعقل الحادي عشر))[٢٢]، وهذه خلاصة للنصوص والأقوال التي جاءت باتهام نصير الدين الطوسي بممالئة المغول والتآمر على بغداد عاصمة العباسيين ومركز الحضارة وإعانة هولاكو في عملية الاحتلال سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهذه التهم الخطيرة لا يمكن استبعادها في تلك الحقبة المليئة بالمحن والكوارث الكبرى التي رزء بها العالم الإسلامي، بإزالة الخلافة العباسية وقتل الخليفة، الذي يمثل حدثاً ترك ألماً في نفوس المسلمين جعلهم يفتشون عمن كان السبب فيه[٢٣]. فضلاً

عن إشاعة الرعب والهلع وبث البلبلة بين الناس ونشر الدمار والقتل والخراب في بلدانهم حتى غلبت على أكثر المسلمين وحكامهم روحية الاستسلام لهؤلاء الغزاة الفاتحين.

إن دراستنا للتهمة الموجهة للعالم نصير الدين الطوسي، بالاعتماد على المصادر التي أوردتها ترجح رفضها وعدم الاعتماد عليها، بالإضافة إلى الأسباب الآتية:

أولاً: حينما سقطت قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، واستسلام ملكها ركن الدين خورشاه إلى هولاكو، وإرساله إلى مدينة قره قورم عاصمة المغول وصدور أمر الإمبراطور مانغو خان بقتله وقتل من لجأ إلى هذه القلاع، أستثنى هولاكو من ذلك ثلاثة رجال، كانت شهرتهم العلمية قد بلغت هولاكو فأمر بالإبقاء عليهم، لان هولاكو كان بحاجة إلى اختصاص هؤلاء الثلاثة فاثنان منهم كانا طبيبين، هما موفق الدولة ورئيس الدولة والثالث، كان مشهوراً في أكثر من علم واحد، هو نصير الدين الطوسي، فقد اختص بعلم الفلك والفلسفة والرياضيات والهندسة فضلاً عن العلوم الشرعية والدينية. وكان هولاكو، مقدراً لهذه العلوم وبخاصة علم الفلك، الأمر الذي يشجع على إنشاء مرصد في "مراغة" ومن ثم في "بغداد"[٢٤].

ثانياً: لم نجد في كتاب رشيد الدين فضل الله الهمداني "جامع التواريخ" (النص الفارسي) ما يشير إلى التهمة التي ذكرت في النص المترجم للعربية، والراجح أنّ النساخ الذين تداولوا على استنساخه في العصور المتأخرة عن القرن السابع الهجري، قد اضافوا إليه معلومات لم تكن موجودة في الأصل[٢٥].

ثالثاً: وفي كتاب عطا ملك الجويني

Ata- Mlik juvaini, the History of the World conqueror

لا توجد أية إشارة يمكن أن نستدل منها، أن نصير الدين الطوسي قد حرّض أو تعاون مع، هولاكو على غزو العراق، كما لم يكن هو من ضمن المرافقين لهولاكو في حملته على بغداد، بل نقرأ، أن الإمبراطور المغولي مانغو خان، قد زوّد أخاه هولاكو بنصائح تضمنّت السياسة التي عليه ترسمّها في فتح الأقاليم، وفيها إشارة واضحة إلى خليفة بغداد، وأوعز إليه، أن يأخذ معه، أبناءه الكبار بشموت وآباقا وقواده وليس هناك معلومات تؤكد وجود عناصر من غير المغول كانوا برفقته حينما أجتاح برج العجمى من شرق بغداد(٢٦).

رابعاً: أن أُرجّح باطمئنان أن نصير الدين الطوسي، كان أحد ضحايا الغزو المغولي في مرحلته الأولى، حينما اجتاح جنكيز خان المشرق الإسلامي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وكانت مدينة نيسابور آنذاك تعج بالعلماء والفقهاء وتزخر بالمدارس، هدفاً للهجوم المغولي إذ لم يكتف جند جنكيز خان بتدمير المدينة بل اعملوا السيف في الناس ففر من استطاع، وكان من بين الناجين نصير الدين الطوسي، فهام على وجهه، ليطلب الملجأ الآمن، فوجده في قلاع الإسماعيلية الحصينة، التي صمدت امام هذا الإجتياح، لذلك لم يكن نصير الدين الطوسي محبذاً للانضمام إلى معسكر المغول، ويبدو أنه كان مضطراً على ذلك، وهو يرى نفسه في قبضة العدو، وان هذا العدو، كان مصراً أن يبقيه في جانبه ويسّيره في ركابه، وكانت أزمته النفسية موجعة وهو العالم الكبير ذو الشهرة المدوّية بين المسلمين(٢٧).

خامساً: وهكذا أيقن نصير الدين الطوسي أن النصر العسكري على المغول ليس ممكناً، بعد انحلال العالم الإسلامي وتفككه، كما انه من غير الممكن أيضاً تجميع قوة تهاجم المغول وتخرجهم من دياره، ولم يبق غير مصر، وهي القوة الوحيدة التي استطاعت أن تذيق المغول، مرارة الهزيمة،

ولكنها لم تستطع مهاجمتهم في البلاد التي احتلوها، لقد أدرك نصير الدين الطوسي عندئذ، أنه إذا ما تم النصر الفكري للمغول ستكون الطاقة الكبرى بالقضاء على الإسلام ومثله وأسسه وهاهو يرى بأم عينيه، إحراق الكتب وقتل العلماء فلا مندوحة في أن يكرس سعيه لإنقاذ أكبر عدد من العلماء والمحدثين والمجتهدين، ومن سائر الناس ممن كانوا سيقتلون والحفاظ على ما تبقى من الكتب والمصنفات وتجميعها[٢٨]، ولعل في سعيه وعمله بهذا الاتجاه، يتمثل فيه قول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب "عبادة فيها عمل وعلم فيه فهم وقراءة فيها تدبّر"[٢٩].

سادساً: وينبغي علينا، أن لا نستهين بما خطاه نصير الدين الطوسي من خطوات تجعلنا نقتنع بما يحمله من الإيمان والإخلاص للإسلام والمسلمين والبقاء على المثل العليا التي كان يتحلى بها:

أ- الإشراف على الأوقاف الإسلامية والتصرف بموارد ها لجهة الإسلام وعلماء الدين وتأمين الجوامع والمساجد وترميم مبتنيات الأوقاف والمدارس وإصلاح ما خُرّب من المدينة والأسواق، والمكتبات والخانات، والربط والبيمارستانات وغيرها، مما تعرّض للتخريب والحرق والنهب، وكان مهددا بالزوال وضياع الكثير من معالمها.

ب - إنّ القول بما أشار إليه نصير الدين الطوسي مع هولاكو قرر الأخير التوجه بجيشه نحو العراق، مردود لأن زحف هولاكو على العراق واحتلاله؛ إنما تمّ بناء على أوامر عليا أصدرها إمبراطور المغول مانغو خان سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م بفتح البلاد الغربية التي ضمنها العراق وسورية، وقد جاء ذلك عند ابن العبري[٣٠]، وكتاب الحوادث الجامعة[٣١]، ورشيد الين فضل الله[٣٢].

ج - أمّا ما نقرأه عند بعض المؤرخين المتحاملين على نصير الدين الطوسي من أنه نقل كتب الأوقاف التي كانت ببغداد إلى مدينة مراغة[٣٣]، وتحديدا في سنة

٦٥٧هـ/١٢٥٩م، فلا يمكن تصديقه؛ لأنّ نصير الدين الطوسي انصرف بعد أن استقرت أوضاع بغداد إلى افتتاح مدارس لكل من الفقه والحديث والطب والفلسفة، وتولى الإنفاق على طلاب هذه المدارس واجتهد بتوفير الكتب والمصنفات، وجعل لكل فرد من دارسي الفلسفة ثلاثة دراهم يوميا ولكل واحد من دارسي الطب درهمين ودارسي الفقه درهما والحديث نصف درهم(٣٤).

د ـ إنّ إنشاء مرصد مراغة، كان بناءً على أمر أصدره منكوقا آن الإمبراطور المغولي، ولكن تنفيذه جرى بعد مضي سبع سنوات من جلوس هولاكو على عرش المغول، بالاعتماد على نصير الدين الطوسي ومشاركة الحكماء الأربعة: مؤيد الدين العرضي وفخر الدين المراغي، وفخر الدين الاخلاطي ونجم الدين دنوان القزويني(٣٥). ثم رتب في هذا المرصد الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وآخرين(٣٦).

وكان فخر الدين لقمان بن عبد الله المراغي ورسوله ومبعوثه إلى البلاد الإسلامية لدعوة كل من يراه كفوءا في عمله وعقله، فقصد إلى أربل والموصل والجزيرة الفراتية وبلاد الشام وقزوين وتفليس وبلاد المغرب، وكان من المغرب يحيى بن أبي الشكر المغربي الذي أصبح فيما بعد أحد الأعلام الستة الذين اختارهم نصير الدين الطوسي لتأليف اللجنة العليا المشرفة على العمل(٣٧).

سابعاً: إنّ ما جاء في قول ابن القيم الجوزية "لما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفى نفسه من إتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط اليهم، وجعلهم خاصته وإدلائه، ونصّر في كتبه قدم العالم وبطلانه المعاد وإنكار صفة الرب من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وانه لا داخل

العالم ولا خارجه، وليس فوق العرش يعبد البتة، واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل إشارات أمام الملحدين فكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال هو قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام ورام تغييب الصلاة وجعلها صلاتين، فلم يتم له الأمر وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً[٣٨]، حتى سماه ابن تيمية ((نصير المشركين))[٣٩].

نقول أن هذا الكلام الذي لم تشر إليه المصادر، مردود أيضاً لأن نصير الدين الطوسي، لم يكن وزيراً للإسماعيلية حينما إلتجأ بقلاعهم بعد غزو جنكيز خان إلى بلاد فارس، وكذلك لم يكن وزيراً لهولاكو، فقد خلت المصادر المعاصرة للحقبة التاريخية من الإشارة إلى هذه المعلومة وان نصير الدين الطوسي، قد خدم الإسلام الذي أراد له هولاكو الموت، بقى متوهجاً، وأنقذ كثيراً من المسلمين من أن يقعوا قتلى بيد المغول أثناء الهجوم على بغداد، فكان يقوم على بوابة الحلبة أماناً للناس، فشرع الأهالي يخرجون من المدينة وهو يؤمنهم من تعديات الجند المغولية[٤٠].

وفي صدد تقييم شخصية نصير الدين الطوسي كتب عبد الأمير الأعسم قائلاً:((الطوسي ليس بعد هذا بالشخصية الطارئة في تاريخنا، انه بارقة مّدت ❖❖ بفكرنا وفلسفتنا وعلومنا، ولذلك يبقى الرجل أرثاً عاماً للحضارة العربية، شأنه في هذا الشأن الكثير من أعلام الفكر الذين ولدوا في إيران وغزوا الحضارة العربية، فلا أحسبن أحداً رآهم من زاوية العنصر بحسبانهم إيرانيين، دون اعتبار لانتماء فكرهم الخالص للعربية))[٤١]

ثامناً: لم يتأكد لدينا ما ذهبت إليه بعض المصادر، أنَّ حاكم قوهستان، ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي المنصور، وجّه دعوة إلى نصير الدين الطوسي لزيارته في قوهستان، فالتحق الأخير إلى قلاع الإسماعيلية وبقي فيها زهاء ثمان وعشرون سنة، إلى أن كاتب المغول سراً في حوالي سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، بيد أنه من المعروف تاريخياً حينما تعرضّت مدينة نيسابور

للهجوم المغولي على يد جنكيز خان، وكانت حينها مقراً لنصير الدين الطوسي، فلم يكن منه بدٌ إلا الاحتماء بقلاع الإسماعيلية أسوة بغيره من العلماء[٤٢]، وبعد أن اغتيل زعيم الاسماعيليين فرض الحاكم الجديد (ناصر الدين بن علاء الدين) على نصير الدين الطوسي الإقامة الجبرية، بسبب بعض الشكوك التي زرعها خصومه في نفس الحاكم ويبدو أنَّ خبر اعتقاله كان وصل إلى هولاكو وهو في طريقه إلى فتح قلاع الإسماعيلية، وحينما تمَّ لهم ذلك، أطلقوه، وطلب منه هولاكو مصاحبته لما بلغه عنه من مهارة وعلم بالغيبيات وتأثير النجوم[٤٣]، لكنه طلب من هولاكو، التخلي عما نوى القيام به من التخريب والقتل الجماعي في البلدان الإسلامية، مقابل تحقيق مطلبه، ولما لم يستجب إليه هولاكو وكان بإمكانه أن يفعل شيئاً لو أراد ذلك، وأمام إصرار هولاكو على المضي في مشروعه لإخضاع هذه البلدان، فقد كان نصير الدين الطوسي مما يّعز عليه أن يذهب دمه رخيصاً وان يكون ذلك بارادته هو نفسه[٤٤]، فاتجه إلى تضخيم أمر "مرصد مراغة" لهولاكو واقنعه، بضرورة ذلك ومضى من حينه إلى بناء هذا المرصد الذائع الصيت[٤٥].

والخلاصة، ليست هناك دلائل تدين نصير الدين الطوسي بالخيانة في حث هولاكو على استباحته بغداد، وان سقوطها أمرا واقعياً منذ أن دمّر جنكير خان الدولة الخوارزمية وقتله آخر ملوكهم جلال الدين منكبرتي سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وحينها لو أراد المغول فتح العراق لما وجدوا، أية صعوبة في ذلك.

ويقدم الدكتور جعفر خصباك آراء وجيهة في صدد مهاجمة المغول لبغداد حتى لو صح اتهام وزير الخليفة المستعصم بالله، مؤيد الدين بن العلقمي التشجيع ما كان ليحمل هولاكو على قصد العراق، لأنَّ هذا الأخير كان مكلفاً من أخيه الإمبراطور مانغوخان ومعه جيش متفوق على عدوه تفوقاً ساحقاً في العدد والعدة، لم يستطع الاسماعيليون إيقافه على الرغم من كثرة عدد

حصونهم وامتناعهم في جبال عالية وقمم شاهقة، فيما تقع بغداد في سهل فسيح، يسهل الإحاطة بها وقطع الميرة عنها، وهذا ينطبق على التهمة التي ألصقت بنصير الدين الطوسي، إذ أن الوضع والتكلف يتضحان في نصوص الروايات التي نتهمها بهذه التهمة الخطيرة وقد كانت الخطة الصحيحة المناسبة آنذاك، هي الوقوف ضد المغول ومحاربتهم، منذ أول ظهورهم في بلاد ما وراء النهر وخراسان وليس التفرج على هجماتهم وفضائعهم وانتظارهم عند أسوار بغداد ثم اتهام هاتين الشخصيتين بأنهما كانا السبب في سقوط المدينة[٤٦].

سكوت بعض المصادر عن اتهام الطوسي:-

والى جانب ذلك فهناك مصادر مهمة لم ترد فيها أية إشارة إلى خيانة نصير الدين الطوسي وحثه هولاكو على فتح بغداد، مثل كتاب "جهانكشاى" لعطا ملك الجويني، الذي يمثل أحد المصادر الأساسية من تاريخ المغول، وخاصة في الرسالة المنسوبة لنصير الدين الطوسي التي لا يذكرها المؤرخ عبد الرحمن سنبط بن قنيتو الاربلى في كتابه "الذهب المسبوك" على الرغم من انه عراقي معاصر للحوادث، ولا يذكرها كذلك أبو الفرج ابن العبرى في كتابه "تاريخ مختصر الدول" مع انه معاصر اتصل بالمغول واطلع على أخبارهم، بينما يرفض التهمة ابن الطقطقي الذي وضع كتابه سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، فضلا عن ذلك فأنَّ رشيد الدين فضل الله، يفصّل أحداث الفتح، ويشير إلى تهمة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي، بان مصدرهما الدويدار الصغير مستشار الخليفة المستعصم بالله[٤٧]، وكذلك لم ترد التهمة في كتاب ابن الفوطي عبد الرزاق بن احمد البغداوي "تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب" وهو معاصر كبير الاطلاع[٤٨]

وهكذا يبدو أن الموقف الثابت الذي أسسه نصير الدين الطوسي، بإخلاصه

للإسلام والمسلمين، قد أثمر في دخول "تكودار" ابن هولاكو، الإسلام بعد وفاة أخيه أبقاقاآن خان وتكودار هو سابع أبناء هولاكو وفي شبابه تعمّد حسب الشريعة النصرانية، ولكنه بعد أن عاشر المسلمين بدأ ميله للإسلام وأحب أمراء المسلمين ورجالهم وأعلامهم وعلمائهم حتى دخل الإسلام وسمى "السلطان احمد خان" وكتب بذلك إلى علماء بغداد وأعيانها، وعرف نفسه بـ"حامي دين الإسلام" ومتبع دين الرسول الكريم، وقد ترك هذا الإعلان أثراً بعيداً من الفرحة والاغتباط بين المسلمين(٤٩).

خاتمة البحث:-

لا ريب أنّ سقوط الخلافة العباسية، وإنهيار الدولة. أثّر بشكل عميق في تاريخ العالم عامة، وتاريخ آسيا خاصة، فقد سيطر الأيلخانيون على الطرق سنيناً طويلةً، حتى جاء القره قونيولو والآق قونيولو فاجتاحوا المنطقة، وصار للقبيلة لا الدولة القول الفصل في سياسة المنطقة، ولكنّ التطور الخطير الذي اجتاح المنطقة ظهور القوّة العثمانية الصاعدة، وصراعها مع قُوَةٍ أخرى لا تقلُّ عنها قوة، إنهم الصفويون، وإن منطقة جنوبي غرب آسيا فيها ثلاث أمم قوية، العرب، الفرس، الترك، وقد أُزيح العرب بأثر الغزو المغولي عن المسرح السياسي العالمي ليبقى الفرس والترك في صراعٍ دائمٍ حتى اليوم، وإذا نجح الفرس والترك (العثمانيون) لملمة أطراف دولهم، بقي العرب في ركود سياسي تغلّبت فيه القبيلة على الدولة، وانفتح الباب على مصراعيه لغزو الاستعمار العالمي للمنطقة وتقسيمها بينهم.

هوامش البحث

(١) ابن الوردي، زين الدين عمر(ت٧٥٠هـ)، تاريخ ابن الوردي(المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٥هـ)، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) جامع التواريخ، تعريب فؤاد عبد المعطي الصياد،(دار النهضة العربية، بيروت -١٩٨٣)، المجلد ٢، ج١، ص٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه،ص٢٨٠.

(٤) فوات الوفيات،(دار الثقافة، بيروت ـ ١٩٧٣هـ)، ج٣، ص٢٥٠.
۞ يقصد بالخواجة السيد المحترم، وهو لقب عثماني.

(٥) البداية والنهاية في التاريخ،(القاهرة ـ ١٣٥٨هـ)، ج١٣، ص٢٠١.

(٦) المصدر نفسه،ج١٣، ص٢٠٤.

(٧) وهو قرب الباب الثالث لسور بغداد،ويسمى بباب الحلبة من ميدان السابق، وهو واحد من الأبراج الكثيرة التي تحيط بالسور ويقع في الزاوية الغربية الجنوبية من السور. وهو ينسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني، فقد كان أهل بغداد يسمونه قبل نبوغه (العجمي). د. مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٦٢.

(٨) ابن كثير، المصدر السابق،صج١٣، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٩) المصدر نفسه،ج١٣، ص٢٠١.

(١٠) الفخري في الآداب السلطانية،(بيروت ـ ١٩٦٦)، ص٣٣٨.

(١١) مختصر التاريخ، تحقيق د. مصطفى جواد، (بغداد ـ ١٩٦٩)،ص٢٧٠-٢٧٣.

(١٢) المصدر نفسه، ص٢٧٢-٢٧٣.

(١٣) رشيد الدين فضل الله، المصدر السابق المجهد، ج١، ص٢٤٩، ٣٠٣.

(١٤) ميرازا محمد باقر الخوانساري، روضات الجنات: ٥٧٨.
۞ قاضي القضاة. هو كبير القضاة. ومقره بغداد، وإليه تولية القضاء.

(١٥) حسن الأمين، المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣م)، ص١٧٧-١٧٨.

(١٦) تاريخ الشعوب الإسلامية (الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٩م)، ص٦٩.

(١٧) مقدمة إلى تاريخ العلم (المطبعة العالمية، بيروت، ١٩٥٨) : ٣٤٠/٩.

(١٨) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٣م)، ص٩٠.

(١٩) حسين الساعدي، مؤيد الدين بن العلقمي واسرار سقوط الدولة العباسية، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٢م)، ص٩٦.

(٢٠) حسين الساعدي، المرجع السابق، ٩٦.

(٢١) المرجع نفسه، ص٩٧.

(٢٢) دليل خارجة بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨م)، ص ١١٩؛ حسن الأمين، المصدر السابق، ص١٧٥.

(٢٣) الدكتور جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الإيلخانيين(الطبعة الأولى ١٩٦٨- بغداد)، ص٣٤.

(٢٤) حسن الأمين، المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٢٥) أنظر: جامع التواريخ بنصيه المترجم والفارسي، ج٢، قسم إلى النسخة المترجمة، ج٢، قسم٢ (النص الفارسي).

(٢٦) رشيد الدين فضل الله الهمداني، المصدر السابق (النص الفارسي ج٢، ص٦٨٦-٦٨٧)
A.M. Juraini, Hist. 1.p.257.
ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول (دار الرائد اللبناني، بيروت - ١٩٨٣م)، ص٤٨٢-٤٨٣.

(٢٧) حسن الأمين، المرجع السابق، ص١٧٢.

(٢٨) المرجع السابق، ص١٧٣-١٧٤.

(٢٩) وأصل قوله □ :".... لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه ولا قراءة لا تدبّر فيها" كتاب "نهج البلاغة" ص١٤٥.

(٣٠) تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٣.

(٣١) المصدر نفسه ص،٢٦٧.

(٣٢) جامع التواريخ، قسم ١(النسخة المترجمة)،ص٢٣٨، النص الفارسي ج٢- ص٦٨٧، المصدر السابق،ص د. جعفر خصباك، العراق عهد المغول الاليخانيين،ص٣٥-٣٦.

(٣٣) ابن كثير، المصدر السابق،ج١٣، ص٢٠١، ابن الكازروني، المصدر السابق،ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣٤) حسن الأمين، المرجع السابق،ص١٧٣-١٧٤.

(٣٥) رشيد الدين فضل الله، المصدر السابق،ص٣٠٣-٣٠٤.

(٣٦) ابن كثير، المصدر السابق،صج١٣، ص٢٦٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ج١٣، ص ٢٦٩.

(٣٨) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان، (بيروت، ١٩٧٥م)، ج٢/٢٦٧.

(٣٩) المصدر نفسه، ج٢/١٤٦.

(٤٠) الشيرازي، شهاب الدين عبد الله بن فضل الله، (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م)، تاريخ وصاف الحضرة، طبعة بومبي - ١٢٤٩هـ، ج١، ص٢٨-٣٨.

(٤١) د. عبد الأمير الأعسم، نصير الدين الطوسي، (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٥م)، ص٧-١٠، ١٦.

(٤٢) رشيد الدين فضل الله، المصدر السابق، المجلد الثاني، الايلخايتون (القاهرة ١٩٦٠م) ص ٢٤٩-٢٥٠، يقول:((كان متنقلاً بين قم ونيسابور وقهستان وبغداد والحلة ومراغة، وكان موضع حفاوة وتقدير وبخاصة عند علاء الدين بن محمد في قلعة (ميمون دز) إذ ألف خلالها أشهر كتبه "تحرير المجسطي" و"تحرير اقليدس" و"تحرير اكرامانالاوس" و"اخلاق ناصرى" و"رسالة التولى والتبرى" و"روضى التسليم" و"مطلوب المؤمنين" و"شرح الاشارات" و كتب أخرى في علم الفلك.

(٤٣) محمد الشيخ الساعدي، مؤيد الدين بن العلقمي (مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٧٢م)، ص٩٧.

(٤٤) حسن الأمين، المرجع السابق، ص١٧٢.

(٤٥) محمد الشيخ الساعدي، المرجع نفسه، ص٩٨.

(٤٦) العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٣٩، ٤٢-٤٣.

(٤٧) جامع التواريخ، ج٢، قسم١، (الترجمة العربية)، ص٢٧٢-٢٧٤، النص الفارسي من المصدر الأصلي، ج٢، ص٧٠٢-٧٠٤.

(٤٨) تحقيق الدكتور مصطفى جواد (دمشق - أربعة أجزاء - ١٩٧٦).

(٤٩) حسن الأمين، المرجع السابق، ص١٧٦، ٢٤٠.

قائمة المصادر والمراجع

رتبت المصادر بحسب ورودها في البحث

❖ ابن الوردى، زين الدين عمر بن مظفر الشافعي(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)

١- تاريخ ابن الوردي أو (تتمة المختصر في أخبار البشر)(المطبعة الوهبية، القاهرة ١٤٨٥هـ).

❖ رشيد الدين فضل الله الهمداني(ت٧١٨هـ/١٣١٨هـ)

٢ـ جامع التواريخ مجلد٢، ج١(ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي (القاهرة).
❖ الكتبي، محمد شاكر محمد بن احمد(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢هـ)
٣ـ فوات الوفيات جزءان (مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥١)
❖ ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
٤ـ البداية والنهاية في التاريخ ١٤ جزءاً (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م).
❖ ابن الطقطقي، محمد بن طباطبا العلوي(ت٧٠١هـ/١٣٠٧م).
٥ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت ١٩٦٠م).
❖ ابن الكازروني، ظهير الدين أبو الحسن علي بن محمد(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م).
٦ـ مختصر التاريخ اوق❖❖ في قواعد بغداد في الدولة العباسية (تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد (مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٢م)
❖ الخوانساري، ميرزا محمد باقر بن زين الدين الموسوي(ت١٣١٣هـ)
٧ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (طبع حجر، طهران، ١٣٠٧هـ).
❖ حسن الأمين
٨ـ المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٣م).
❖ الدكتور جعفر حسين خصباك
٩ـ العراق في عهد المغول الإيلخانين (الطبعة الأولى بغداد ١٩٦٨م).
❖ بن العبري، غريغوريوس أبو الفرج المالطي(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
١٠ـ تاريخ مختصر الدول (ط٢، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٥٥م).
❖ ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي(ت٧٥١هـ).
١١ـ إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان، (الطبعة الثانية دار المعرفة (القاهرة ١٩٧٥م).
❖ الشيرازي، شهاب الدين عبد الله بن فضل الله (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م).
١٢ـ تاريخ وصاف الحضرة (طبعة بومبي، ١٢٤٩هـ).
❖ الدكتور عبد الأمير الأعسم.
١٣ـ نصير الدين الطوسي(الطبعة الأولى، بيروت ـ١٩٧٥م).
❖ محمد الشيخ الساعدي.
١٤ـ مؤيد الدين بن العلقمي (مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف، ١٩٧٢)
❖ ابن القوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد البغدادي(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م).
١٥ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (تحقيق مصطفى جواد، ١٩٦٢-١٩٦٥).